العدد(1671) السنة السابعة -الأربعاء (9) كانون الاول 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

أوكونور.. كاتبة شهيرة، غريبة الاطوار

كانت الكاتبة فلانري تحب مزيج الكوكا كولا والقهوة. تذهب الى فراشها في التاسعة وبعد اغتيال كينيدي قالت: "أنا حزينة بسبب الرئيس ولكني معجبة بالجديد". وهي مثل الأطفال كانت تخيط ثيابا خاصة لدجاجاتها وأرادت ان تكون رسامة للكارتون.

سافرت فلانري أوكونور باستمرار الى مدينة لوردز لتصلي من اجل روايتها القادمة، ولكنها تقول عن كل رواية تنتهي منها، "قطعة من القرف".

اما أفضل الكتاب بالنسبة إليها فكانوا: روبرت لويل، روبرت فيتزجرالد وروبرت جيرو. وهي لم تحب أعمال ترومان كيبوت وتنيسي ويليامز، أما كافكا فلم تستطع التواصل مع أي عمل له، وتستاء عندما تقارن به.

وعلى الرغم من كونها كاثوليكية فان أبطال رواياتها كافة كانوا من البروتستانت وفلانري أوكونور قرأت الكثير من كتب اللاهوت لاعتقادها ان ذلك يجعلها تكتب بقوة. وعندما ذهبت الى مشغل الكتاب في جامعة إيوا قالت: "انها لم تكن تعرف القصة القصيرة من الإعلان". ومع ذلك، عدت نجمة معروفة هناك.

وأوكونور عندما كانت في مزرعة والدتها "أندلس"، جمعت شتى أنواع الطيور: البط والإوز والطاووس. وفي أعياد الكريسمس كان الطاووس بالنسبة اليها رمزا للخلود والروح التي لا تفسد، والذي تنجذب اليه تلقائيا، وكانت ترسل الى أصدقائها باستمرار ريشة منه، وبعثت واحدة لروبرت لويل طولها خمسة أقدام، ولم يتأثر بها بل علّق، "لم يبق لي غير ريشة طاووس".

لقد أمضت فلانري الأعوام الـ١٣ الأخيرة في حياتها في مزرعة "أندلس" في ميليجيفيل، تعاني مرضاً جلدياً يدعى "داء الذئب"، اتلف عظامها ومفاصلها وتوفيت إثر معاناة طويلة كما حدث مع والدها من قبل. وفي خلال مرضها الطويل ما رسمت الرسم وأخذت جرعات كبيرة من دواء__الكورتيزون الذي ينشط العقل ما دفعها الى انهاء روايتها، "دم حكيم"، وعلقت عندئذ قائلة، "الكورتيزون يدفعك الى التفكير ليلا ونهارا" وكتب روبرت جيرو عن ذلك العمل، "إنه عمل مجنون، كتبته مجنونة".

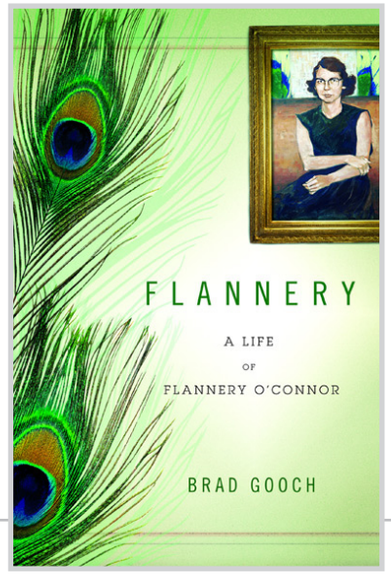

الكتاب: حياة فلانري أوكونور
تأليف: براد كوج
ترجمة: ابتسام عبد الله

فلانري أوكونور

كانت لها أول وآخر علاقة مع رجل في عام ١٩٥٤ مع إيرك لانكجير بائع كتب منهجية للكلية التي تدرس فيها، شاب وسيم ومرت معه آنذاك، بتجربة لم تدركها قط.

كتبت فلانري المئات من الرسائل. وفي عام ١٩٧٩ بعد ١٥ عاما على وفاتها وهي في الـ ٣٩ من عمرها ظهرت مجموعة كبيرة منها بعنوان "عادة ان تكون" قامت بتحريرها وإعدادها صديقتها القديمة سالي فيتزجرالد زوجة روبرت وعلقت سالي في المقدمة "ان أي شخص نزق يكتب اليها يتسلم ردا منها"

إذن كيف كانت حياة فلانري؟

في الحقيقة هناك ما هو معروف عنها وهناك الرسائل ومقالاتها المنشورة في الصحف التي جمعت وصنفت وكانت قليلة التحدث عن أعمالها الروائية او القصصية او عن تدريسها الأدب. وقد كتبت المئات من أطروحات الدكتوراه عنها وكذلك الكتب النقدية التي تتحدث عن كل امر متعلق بها، حتى غدت قوة لها تأثير في "الصناعة الأكاديمية".

ويقول مؤلف الكتاب، انه كتب هذه السيرة لأن سالي فيتزجيرالد لم تفعل ذلك. وعندما جمعت سالي رسائلها عزلت منها ما يسيء اليها كما إنها لم تذكر مطلقا اسم صديقها الغامض "أ" الذي ارتبطت به بعلاقة وصفت بـ(العفيفة). هناك أيضا بعض الأمور الأخرى المتعلقة بها لم يرد ذكرها ومنها ان فلانري اوكونور التي اصبحت كاتبة شهيرة امرأة نحيلة خجول تدخن بشكل متواصل تعتني بخالتها الارملة، تقرأ كتب اللاهوت، بريئة شجاعة الى حد كبير تحملت مرضها الذي أقعدها أعواما في الممر الطويل المؤدي الى الموت.

كانت فلانري اوكونور متدينة غريبة الأطوار وأعمالها أكثر غرابة ويحاول المؤلف جهده ان يجعلها طبيعية، وعندما سألها احدهم "لماذا تكتب؟" أجابت: "لانني جيدة في الكتابة".

وكتاباتها تتسم كما يقول المؤلف بالروحانية بدون شك ولم تتأثر بحركة الحقوق المدنية للسود. وعندما طلب منها الإذن لتحويل إحدى قصصها الى مسرحية أجابت: "الشيء الوحيد الذي اعترض عليه بقوة هو جعل احد الحمقى السود في عمل لي شخصية رئيسية".

أســـــوأ حـــــرب

يبدأ التاريخ الموجز لثاني اكبر الحروب التي جرت في القرن التاسع عشر، و الذي كتبه السير جون كيغن، بجملة " ان اميركا مختلفة ". هذا الاختلاف هو المفتاح لفهم الجوانب الاجتماعية و السياسية و – فوق كل شيء – العسكرية، و لفهم نتائج الحرب التي مازالت تلقي بظلالها على الضواحي الأميركية.

بعض الاختلافات تبدو تافهة لأول وهلة: يقول كيغن، ان الحرب الاهلية كانت أسوأ حرب من بين كل الصراعات الكبرى. هذا يكشف مشكلة التوسع السريع في الجيوش و في الفكر العسكري غير النظامي الذي تحمله القطعات التي لم تكن تنقاد لأي مبدأ عسكري من المبادىء التي ابتلي بها المجندون و المتطوعون عبر الأطلسي الا ان هذه القطعات (الميليشيا) كانت تتميز عن غيرها بجودة التغذية نتيجة الزراعة الوفيرة و عمليات التصنيع و التوزيع الكافي.

كانت ملاحظات كيغن عن العوامل البشرية و اللوجستية رائعة و تتضمن جوهر اختلاف هذه الحرب عن غيرها. ان دراسة الحرب التي كرّس كيغن حياته لها و انخراطه في التاريخ الاميركي منذ سنواته المبكرة، تضفي على كتابته صواب الحكم.

بدأت الحرب الأهلية بالاطلاقات الشهيرة على قلعة (سمتر) عام ١٨٦١، و استمرت حتى بعد اغتيال الرئيس لنكولن عام ١٨٦٥. هذه الحرب جرت لتقرر ما اذا كان بإمكان الولايات المتحدة ان تبقى متحدة. هذا التقرير كلف اكثر من ستمائة الف حالة وفاة عسكرية، أي اكثر من اية حرب شارك بها الاميركان. يزعم كيغن ان السبب الرئيسي كان ستراتيجيا: ان طبيعة الكونفدرالية و حجم و جغرافية البلاد جعلت واشنطن يواجه " واحدة من أكثر المشاكل العسكرية تعقيدا، لم تواجه مثلها الحكومات التي تصنع الحروب ".

لم يكتف الرئيس لنكولن (و جيفرسون ديفز في الجنوب) و مستشاروه بتحشيد جيش كبير، بل كان عليهم ان يقرروا كيفية استخدامه لكسب النصر.

ربما كان الأمر اكثر سهولة بالنسبة للجنوب: اذ كان عليه " فقط " ان يتجنب الاندحار، بينما كان على الشمال ان يقهر الكونفدرالية و هذا يعني دحر قواتها و مسك زمام البلاد. مع هذا فان افتقار الجنوب الى توحيد الجهود لم يسعف قضيته ; كما ان تخلفه في القوة القتالية و المخازن و القوة البحرية لم يمنحه الفرصة في النجاح. لم يكن من المفاجىء حينها ان الكونفدرالية قد وضعت ثقتها الكبيرة في " القطن " لغرض تحريك دعم الدول الأوروبية – خاصة بريطانيا – التي كانت صناعة القطن فيها تعتمد على صادرات الجنوب. لذا فقد صارت الحرب واحدة من اكبر الحروب ضراوة، اذ بدون اهداف ستراتيجية حقيقية للجيوش للمناورة فيها ماذا يمكنها ان تفعل غير مقاتلة بعضها في معركة تلو الأخرى.

لم يول الجيش البريطاني اهتماما كبيرا للحرب. كانت العين العسكرية للامة على احتياجاتها الامبراطورية، فكان من الواجب اجتناب الاعمال الحربية العالمية التي تتطلب جيشا اكبر مما تمتلكه البلاد او ترغب في تسديد متطلباته. ثم ماذا كان بإمكان هذا الجهد العسكري غير النظامي ان يضيف الى فهم الحرب العالمية مع وجود جيوش كبيرة مثل جيش فرنسا و بروسيا؟ و ما هي الدروس في القيادة التي تؤخذ من ضباط متدربين لا يتجاوز عددهم الثلاثة آلاف!

مع ذلك – يقول كيغن – فمن الواضح ان اميركا قد انجبت من هذا العدد الصغير اثنين من الجنود العظام، غرانت و شيرمان، وكان الاخير ذا رؤية خيالية أيضا.

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الضباط البريطانيون بدراسة الحرب الأهلية: في خمسينيات و ستينيات القرن الماضي، كانت هذه الحرب جزءا من المنهاج الدراسي المقرر لامتحان القبول في كلية الأركان، وقام كيغن في شبابه بتدريسها لطلبة كلية ساند هيرست العسكرية، بعد ذلك صارت قديمة الطراز و هذا مما يؤسف له اذ ان دراسة مثل هذه المشاكل العسكرية – السياسية الصعبة تعتبر ذات فائدة كبيرة جدا. ولأجل البدء بمثل هذه الدراسة، لا بد من أن نعرف انه من الصعب دحر كتاب كيغن الرائع و المثير للأفكار.

عن التايمز

الكتاب: الحرب الأهلية الأميركية
تأليف: جون كيغن
ترجمة: عبد الخالق علي

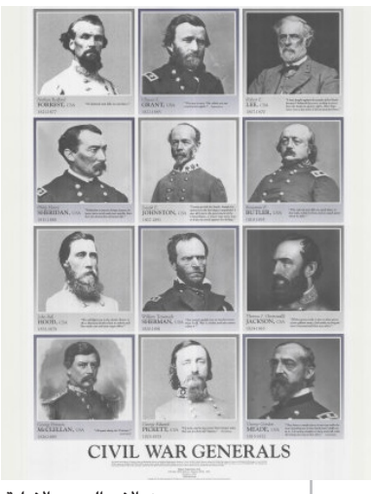

جنرالات الحرب الاهلية

تـــولـــســـتـــوي.. بـــحـــر مـــن الـــتـــنـــاقـــضـــات

(صوفيا تولستوي) قدّست زوجها الا ان الحياة كـ "ظهير" لسيد أديب متطلّب كانت حياة قاسية وموحشة كما تكشف يومياتها، كما تقول (دوريس ليسنغ).

قراءة يومياتي تضحكني، يالها من تناقضات كثيرة – كما لو أنني كنت أشقى امرأة! ولكن مَن استطاع ان يكون أسعد؟ هل تمكن اي زواج ان يكون أسعد وأكثر انسجاماً من زواجنا؟ وعندما اكون وحيدة في غرفتي احياناً أضحك بسبب البهجة واقاوم نفسي وأتضرع الى الله طلباً لسنوات كثيرة من السعادة، وأكتب يومياتي دائماً عندما نتشاجر"....

كتبت (صوفيا تولستوي) الأسطر أعلاه عام ١٨٦٨ عقب ست سنوات من الزواج، و تبدو الكثير من تدوينات يومياتها المتأخرة ايضاً انها قد تمت كتابتها بعد الشجارات.

هذه التوليفة من تدوينات يوميات (صوفيا) تمثل شاهداً ليس على أفكارها وحسب بل على الأحداث العامة وعمل (ليو تولستوي) أيضا – في الفترة التي تغطيها التوليفة كتب (ليو تولستوي) روايتي (الحرب والسلام) و(آنا كارنينا) والعديد من الأعمال الأخرى – وفي الوقت ذاته نرى عمل (صوفيا) الشاق فهي ام منهمكة في عملها على الرغم من وجود مربيات وكل أنواع العون، وهي تنسخ وتنسخ مراراً عمل زوجها الأدبي "لم لست سعيدة؟ هل الذنب ذنبي؟ انا اعرف كل أسباب معاناتي الروحية. اولاً مما يحزنني ان أطفالي ليسوا سعداء بالقدر الذي كنت أتمناه ومن ثم أنا في الواقع أشعر بوطأة الوحدة الى حد كبير، فزوجي ليس بصديقي اذ كان عاشقي مشبوب العاطفة من حين لآخر لاسيما فيما هو يتقدم في السن الا إنني طوال حياتي أحسست بالوحشة معه، فهو لا يخرج معي في نزهات سيراً على الأقدام بل يفضّل التأمل في عزلة منكباً على مؤلفاته، ولم يول يوماً اهتماماً بأطفالي حيث يجد ذلك امراً عسيراً ومملاً".

وتتوق (صوفيا) الى مناظر طبيعية جديدة وتطور فكري وفن واتصال بالناس فتكتب: " لكل امرئ قدره. اما قدري فهو ان أكون ظهيراً لزوجي"... وحالما اقترن الزوجان (تولستوي) قرآ يوميات بعضهما البعض كجزء من خطتهما للحفاظ على المودة الخالصة بينهما ولكن فيما بعد ربما وضعا بسهولة نسختين من اليوميات، احدهما ليقرأها الآخر والاخرى لتبقى سرية.

وكان لدى (صوفيا) (١٣) طفلاً، توفي بعضهم عندما كانوا اطفالاً رضعاً – بالأخص طفل هو (فانيتشكا) الذي كان معبود والديه – وفي رواية (الحرب والسلام) يكتب (تولستوي) بألم عن مكابدة والدين يدركان مدى سهولة خطف مرض بسيط لأطفالهما. وكمثل اغلب النسوة في ذلك الزمان كانت (صوفيا) تحت رحمة جهازها التناسلي – كان مجئ الحبة لم يزل على بعد حوالي قرن من الزمان – ويوجد حدث مثير للاهتمام في رواية (آنا كارنينا) يتعلق بهذه الفئة من نساء القرن التاسع عشر، حيث تكون (آنا) مُبعَدة عن المجتمع بسبب الزنا الذي ارتكبته لذا فهي تقيم في الريف، وتزورها (دوللي) شقيقة زوجها فتخبرها (آنا) عن وسائل تحديد النسل المتبعة في ذلك الزمان، وتتفاعل (دوللي) مع المعلومات ليس ببهجة كما كانت (آنا) تتوقع بل باشمئزاز – فكرة رفض النساء الحمل بالأطفال وهو دورهن التقليدي في الحياة هي ببساطة فكرة غير مقبولة بالنسبة لها – وفي طريق عودتها من (آنا) تسمع قروية تحمد الله الذي أنقذها بأخذ أحد أطفالها ما يترك طعاماً اكثر للباقين، وتأسف (دوللي) لاجل القروية الا انها لا تصاب بالصدمة، ويوضح هذا الحدث آراء النسوة تجاه منع الحمل في ذلك الزمان – (آنا) الوحيدة التي تتقبل استخدامه يتم وضعها خارج أجواء السلوك الاجتماعي المقبول في حين ان (دوللي) وهي تمثل المعايير الاجتماعية تصدمها الفكرة عينها – وفي حدث آخر من الرواية تنتظر (دوللي) زيارة من زوجها (ستيبان) والتي على الارجح ستخلّفها حاملاً وكذلك قلقة بشأن المال اكثر مما هي عليه الآن، وهي تقول متأملةً بشأن (ستيبان) "يا له من وغد" وهنا نلاحظ مدى تقبل أعباء المخاض بالنسبة لنساء ذلك الزمان.

ويوجد عامل آخر في ظروف الزوجين (تولستوي) الزوجية تكشف عن صعوبة بالنسبة لـ (صوفيا) – حيث ينبثق ذلك من يومياتها– وهو ان علاقة (ليو) بـ (فلاديمير غريغورفيتش تشيرتكوف)، فقد كان الاخير مساعداً للأول وأصبح واحداً من اقرب أصدقائه واكثر المؤتمنين على اسراره، و هو مؤسس "التولستوية" – مدرسة فكرية لأتباع آراء (تولستوي) الدينية – فقد كان نسخة مشوهة بشكل استثنائي عن (ليو) نفسه، وأصبح (ليو) مستعبداً لـ (تشيرتكوف)، وكان الاخير ينفر من (صوفيا) متآمراً ضدها بكل طريقة استطاع ان يتبعها.

وقال (تولستوي) ذات مرة بأنه قد كان محباً للرجال اكثر مما سبق له وأن أحب النساء، ورواياته (سوناتا كروتسر) التي تعين على النساء الحقيقيات بأنهن شبيهات بالحمائم، نقيات وبريئات. هل سبق له وان التقى بأية امرأة حقيقية؟ وعندما نأتي الى شخصية (تولستوي) فإنه بحر من التناقضات، فقد كان ايديولوجياً وكان يعظ الناس وكان دائماً مع اليمين ومع ذلك فقد اتخذ موقفه على عدد من المنابر المختلفة وأحيانا المعارضة، كما كان زوجاً طالحاً ومتهوراً من الناحية الجنسية، فمثلاً ألح على زوجته المسكينة لترضع الأطفال من صدرها على الرغم من ان حلماتها كانت تتشقق وكان عملاً مؤلماً لها، وقد أرادت أن تستخدم مرضعات. كانت الحقيقة ان (تولستوي) العظيم كان بضعة من وحش.

ولا بد من ان (صوفيا تولستوي) قد قسمت أواخر أعوامها الى "ما قبل (تشيرتكوف)" و"ما بعد (تشيرتكوف)" وكانت لدينا وفرة من الفرص لدراسة أنشطة الإيديولوجيين غير ان (فلاديمير تشيرتكوف) كان ظاهرة جديدة ومن المحتمل ان سبب عجز (صوفيا) عن مجاراة هذا الرجل يعود الى حد ما الى الصعوبة في تصنيفه، فهل كان متديناً؟ – آه، نعم، إنه مكرس للخير وفي الواقع هو متعصب – الا ان (تشيرتكوف) ابتغى امراً واحداً فقط – السيطرة على (تولستوي) وقد أفلح في هذا– ولم يكن هناك (تشيرتكوف) وحسب بل كذلك كل المعجبين الذين كانوا ينحدرون من كل حدب وصوب في العالم متوقعين من الأستاذ ان يؤويهم ويطعمهم وينصحهم، وقد طردوا الخدم من أسِرّتهم وناموا في الممرات.

ولم تكن (صوفيا) على ما يرام، فقد قيل آنذاك وما يزال يقال اليوم انها كانت معتوهة، ولا يدهشني انها كذلك، فقد كان (تولستوي) يهدد بهجرها وبهجر العائلة والذي كان المقصود به ان يفعل ذلك مع (تشيرتكوف)، فاندفعت (صوفيا) مذهولةً الى بركة وأنقذوها. "اود ان اترك كرب هذه الحياة البغيضة.. لا أرى املاً حتى ولو عاد (ل.ن) في لحظة ما"...

وفي النهاية تفرج كل العالم فيما فر (تولستوي) من منزله الى منزل صغير قرب السكة الحديد حيث توفي، وكانت (صوفيا) ممنوعة من الذهاب الى زوجها المحتضر الى اللحظة الأخيرة تماماً.

وعاشت (صوفيا تولستوي) لسنوات عديدة طويلة بصفة أرملة (تولستوي) وكانت احياناً تذهب لزيارة قبره حيث كانت تتوسل المغفرة منه على نقائصها.

وتؤدي تدوينات اليوميات شهادة على حياة لافتة للنظر، الا وهي حياة امرأة استثنائية مقترنة بأحد أكثر الرجال استثنائية في ذلك الزمان، مع كل آلامها وبلواها وهي تكشف عن اسرارها. انه كتاب مثير للاهتمام لما يذكره بشأن فئة النساء الموجودات في الماضي وكيفية مقارنة ذلك بظروفهن الحالية، وفيما كنت أقرأ الكتاب كنت مسحورة للغاية بحيث وجدتني أحلم بـ (صوفيا) وبالحديث اليها بنفسي، راغبةً بشدة بالوصول اليها ومواساتها على ألمها ببعض الكلمات، وربما – كما آمل – ان سجل كفاحاتها، فهذا سيكون عزاءً للأجيال الحالية والمقبلة ومصدر إلهام لها.

الكتاب: يوميات صوفيا تولستوي
ترجمة الكتاب: كاثي بورتر
ترجمة العرض: هاجر العاني

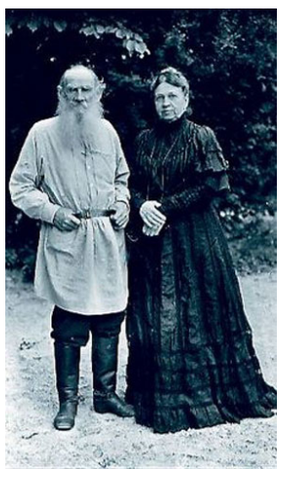

تولستوي وزوجته

عـــنـــدمـــا يـــكـــون عـــامـــة الـــشـــعـــب صـــنّـــاع الـــقـــرار

كيف يخلق التمرد أجواءً مناسبة للديمقراطية؟ عبر هذا السؤال المباشر حلل المؤلف مارتين بروغ سلسلة من التمردات الشعبية الممتدة من الحقبة القديمة حتى عصرنا هذا.

لا يخفى على احدنا إن شعوب العالم تمتلك أسبابها الخاصة في التصدي لسياسية معينة أو معارضة نظام معين إلا أن هذه المعارضة لا تأخذ شكل تمرد ملحوظ ولا ثورة منظمة قائمة بحد ذاتها بل تتخذ منحنى آخر متمثلاً بتيار جديد للمقاومة وتتجاوز ماهيته الحدث السياسي. وللمعارضة أهمية بالغة في الكشف عن الأسس التي قامت عليها شعوب العالم أو بمعنى الكشف عن علاقة أحد هذه الشعوب بالعالم أو بالآخرين أو مع بعضها البعض. وتسمى هذه التجربة بتجربة (الدهماء) أي عامة الشعب حسب رؤية المؤلف مارتين بروغ وهو أستاذ متخصص في دراسة النظرية السياسية في جامعة بورك في مدينة تورنتو في كندا.

وتعرف تجربة عامة الناس على أنها حدث مميز ومشهد تمهيدي لمدخل تاريخي يعرف بمبدأ (عامة الناس)، الذي يتطرق إلى التكوينات الأولى لهذه الطبقة. ومعارضتها الدائمة طبقة النبلاء. ومثل هذه المعارضة ظهرت جليا في عام ٤٩٤ قبل الميلاد عندئذ استقر عامة الشعب الروماني (وهم الفئة الخاضعة لحكم النبلاء و المتحملة لسنوات قساوة حكمهم ووطأة قوانينهم والمسؤولة بالدرجة الأساس عن الدفاع عن حرية رومانيا إذا ما تعرضت لاعتداءات خارجية) في تل افونيت حيث أعلنت انفصالها عن النبلاء وتمردها عليهم.

في المقابل بعث هؤلاء النبلاء، بعدما أدركوا حاجتهم للعامة وتصوروا خطورة حرمانهم من قوة عتيدة اعتمدوا عليها منذ زمن طويل، برسول منهم إلى التل وحاول الرسول عبثا إقناعهم بالعودة إلى المدينة إلا أنهم رفضوا ذلك وطالبوا باعتراف النبلاء بوجودهم السياسي،الاعتراف الذي سيتحقق لدى بناء مقرات للمحامين عن حقوق الشعب الروماني بنسائه المستخدمات وأطفاله والمحرومين.

عندئذ توقفت هذه الطبقة عن كونها كتلة خارجية غير مرحب بها وسط النظام الجمهوري طالما داعت بنفسها بمسألتي اتخاذ القرار والدفاع عن حريتها. وفي إحدى التظاهرات رفض مواطن من العامة فكرة التصغير من شأنه بوصفه (حيوان مختبر) لا أكثر لأنه يخضع بصورة رئيسية للمتطلبات الجانبية المهمة في العمل وضرورة المحافظة على جسده سليما ومعافى فضلا على إبعاده (مرغما) وعلى غير إرادته عن خيرة النبلاء وصفوة المجتمع المهيمنة على الاعتراف بمشاركته في العملية السياسية.

في نظر المؤلف ثمة تطور كبير حصل بسبب زيادة الوعي في صفوف العامة الذي نشط كثيرا في هذه الأوقات المؤسسة لتجربتهم الخاصة. وبالتأكيد، لم يكن انتصار الأغلبية الصامتة أمرا مقرا به من قبل الجميع ودفعة واحدة، بل كشف هذا الانتصار عن تاريخ يحمل صفات ثلاث:فهو تاريخ منفصل و لا متناه وسري. فهو منفصل لان تجربة العامة لم تنبثق دون حركات العصيان التي سبقت ظهورها وفي داخل هذه الحركات استحوذ الأشخاص، المهمشون اجتماعيا واقتصاديا،على مجريات القرارات والقوانين وتصرفوا وفق أسلوب متفق عليه في المشهد الحكومي. وهنا لابد من القول إن المؤلف مارتين بروغ قد حلل هذه الحركات بدءا من تمرد الشعب الروماني و انتهاء بكومونة باريس(١) مرورا بتمرد الكومبيين في فلورنسا في مطلع القرن الرابع عشر.

وهو تاريخ سري لأنه كان مخفيا من قبل السلطات المسؤولة عن حفظ الوثائق التاريخية مثلما كان مخفيا في (التقسيم الاجتماعي الأولي) وهو مفهوم أعده كلود ليفورت ويراد به التقسيم بين طبقة النبلاء وحاشيتهم والعامة وأسرهم أو بالأحرى بين الطبقة المهيمنة والطبقة الخاضعة. وكان هذا التقسيم دافعا داخليا لنشوب العصيان. في حين أطلقت صفة اللامتناهي على هذا التاريخ لأنه الفاصل، الذي يجتاز المجتمعات ويسمح دائما بإغلاق اكبر عدد ممكن من منافذ الدخول إلى السياسة، لا يكون ملغيا تماما بل هو موجود في ثنايا هذا المجتمع أو ذاك.

ولا ننسى أيضا إن تاريخ أي طبقة من عامة الشعوب يتمحور حول نقطتين جوهريتين أولهما مبدأ هذه الشريحة الاجتماعية، إذ كون الظهور الواضح لمساعي التحرير التي قادها هؤلاء العاميون محاولين إحباط الهيمنة الاجتماعية لصالح مبدأ العدالة والمساواة، قوة حاسمة أكدت إن الوثاق الإنساني يصلح لأن يكون بديلا عن الوثاق السياسي.

أما النقطة الثانية فهي فكر هذه الشريحة ونعني به التغيرات التي طرأت على مدلول هذه الطبقة في الفكر الفلسفي والاجتماعي وهو الفكر الذي تتبعه المؤلف لدى أعمال ثلة من المؤلفين أمثال: (مونتسيكيو وبييرسيمون وبالانش وفوغو).

ويتمخض عن هذه النقطة درس مهم في كون هذه الشريحة قد أشارت إلى المطلب المطلق للحرية ومنحتها صفة خاصة لتأخذ شكل صراع طويل مهد الطريق نحو التقدم.

والجدير بالذكر إن دراسة تاريخ هذه الشريحة يقدم لنا شخصية مختلفة قليلا ومخالفة للرأي العام أحيانا لان حركات التمرد التي ذكرناها مسبقا لن تتمكن من الانضواء تحت حزب واحد أو الاستقلال لفترة قصيرة وان كانت محدودة وبدا الأمر وكأن هذه التمردات لا تتوافق فيما بينها إلا في حالة الوقوف على المعاناة التي مضت وتلك التي ستأتي. وعلى الرغم من انتصار هذه التمردات إلا أنها كانت دائما مسكونة بالخدمة الطوعية للنبلاء خوفا من الفقر و تتحكم بها أحيانا رغبات أسيادهم.

مع ذلك، قرر المتمردون تشييد مكان آمن لضمان مستقبل خالٍ من النزاعات. واقروا إن الاختلاقية السياسية (أي القدرة على اختلاق أساليب جديدة للعيش معاً) هي السبيل الوحيد لحماية الأطراف المتنازعة من السقوط في هوة العنف الأعمى واندلاع الثورات أو الخضوع بمهانة تحت وطأة رئيس مثالي. وعبر شرح هذه الأفكار، يمكننا تعريف العصيان ووفقا لما أظهرته التحليلات التاريخية الدقيقة للمؤلف، على انه مختبر حقيقي لإعداد تجربة ناجحة عن التعايش السلمي ووفق متطلبات ديمقراطية ملائمة والعمل على بقاء الأوضاع المناسبة للإخوة والاتحاد والتعريف بخصوصية الفرد و تمييزه وتقليل التفاوت بين طبقات المجتمع كافة.

هكذا بينت هذه الصفحات الجميلة المكرسة لدراسة نماذج حل فيها السلام بعد نشوب عدة ثورات، إن التمرد الشعبي تميز بكونه (همّ) لا متناهياً للسياسيين آنذاك ويعد بالأساس وعي المتمردين لحالاتهم الإنسانية الخاصة.

عن صحيفة اللوموند الفرنسية

الكتاب: التجربة العامة
تأليف: مارتين بروغ
ترجمة: إيمان قاسم ذيبان

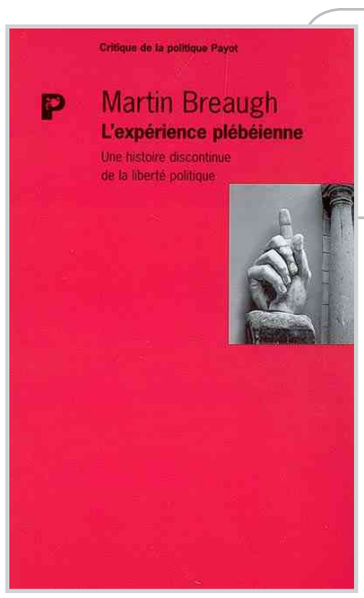

الإشارات:

كومونة باريس: وهي لجنة ثورية حلت محل بلدية باريس في الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ثم استولت على السلطة.